منهج القرآن الكريم في دعوة الملأ

دراسة دعوية

د. عبدالرحمن بن سيف الحارثي

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

منهج القرآن الكريم في دعوة الملأ

" دراسة دعوية "

إعداد الدكتور
عبدالرحمن بن سيف علي الحارثي
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة نجران
asalharithi@nu.edu.sa

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منهج القرآن الكريم في دعوة الملأ " دراسة دعوية "

عبدالرحمن بن سيف علي الحارثي
قسم الثقافة الإسلامية – كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة نجران – نجران. السعودية.
البريد الاليكتروني: asalharithi@nu.edu.sa

الملخص:
يهدف الباحث من هذه الدراسة إلى التعرف على منهج القرآن في دعوة فئة من الناس لهم رئاسة ومناصب و تأثير في المجتمع . وقد قسم الدراسة إلى مقدمة تشتمل على تعريف بمفردات العنوان وأربعة مباحث تشتمل على سمات الملأ من خلال القرآن وهي الاستكبار والحرص على الرزعامة والرئاسة والترف والتقليد ومعادة الحق والإصرار على الباطل ثم يأتي المبحث الثاني ليبين سمات الداعية من خلال القرآن وهي سمات ذاتية وسمات خُلقية وسمات مكتسبة، أما المبحث الثالث: فالمناهج الدعوية التي ينبغي للداعية أن يسلكها في دعوة الملأ ثم المبحث الرابع: يتحدث عن أساليب ووسائل القرآن في دعوة الملأ .ثم النتائج ومن أهمها ربط الداعية بالقرآن في دعوته إلى الله وأثرها في المدعويين.

الكلمات المفتاحية: المنهج - دعوة - القرآن - الملأ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

Curriculum of the Noble Qur'an on the call to the public

Abdul Rahman bin Saif Ali Al-Harthi
Department of Islamic Culture - College of Sharia and Fundamentals of Religion - University of Najran - Najran. Saudi.

e-mail: asalharithi@nu.edu.sa

:abstract

The researcher aims from this study to identify the method of the Qur'an in inviting a group of people who have leadership, positions and influence in society. He divided the study into an introduction that includes the definition of the vocabulary of the title and four topics that include the characteristics of fullness through the Qur'an, which are arrogance, concern for leadership, luxury, tradition, and the return of truth and persistence on falsehood. And as for the third topic: the Da`wah curricula that the preacher should take in the call to public, then the fourth topic: It talks about the methods and means of the Qur'an in calling the public.Then the results, the most important of which are linking the preacher to the Qur'an in his call to God and its effect on the invitees.

Keywords: The curriculum- Da`wah- the Qur'an- the public.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:-

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد لله وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والمرسلين-عليهم الصلاة والسلام-، وهي وظيفة العلماء والمصلحين من بعدهم، وهي قطب رحى الدين، كيف لا، وهي تأخذ بيد الغافلين من الظلمات إلى النور، وتزداد أهمية الدعوة في وقتنا المعاصر في ظل الحروب الضروس على الإسلام من كل حدبٍ وصوب، ومحاولة تشويه الإسلام وتراثه وعلمائه بكل سبيل، وانتشار الجهل بالدين وأحكامه، وعدم قيام المسلمين بواجبهم الدعوي سواء مع المسلمين، ناهيك عن غير المسلمين.

وعلى الداعية إلى الله- عز وجل- أن يدعو على بصيرة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾[4] ؛ وحتى تؤتي دعوته ثمرتها المرجوة منها؛ ولذلك فالدعوة إلى الله فقهٌ

(١) (سورة آل عمران: ١٠٢).
(٢) (سورة النساء: ١).
(٣) (سورة الأحزاب: ٧٠،٧١).
(٤) (سورة يوسف: ١٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عظيم، يجب على الداعية أن يتعلمه، فيتعلم كيف يدعو؟ ومتى يدعو؟ وبماذا يدعو؟ ومَنْ يدعو؟

وتتعدد أصناف المدعوين، وعلى الداعية إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يتخير أسلوب الدعوة المناسب مع أصناف المدعوين، ومن أولئك المدعوين الملأ، وهم صنف يتكرر في كل زمان ومكان، ومن الأهمية بمكان الحرص على دعوتهم؛ إذ بهدايتهم يهتدي خلق كثير، وبضلالهم يضل أناس كثيرون؛ من هنا كانت الحاجة ماسة إلى معرفة فقه دعوة الملأ، بدايةً بمعرفة صفاتهم والنعوت التي يختصون بها عن غيرهم، ولما كانت دعوة الملأ لا يحسنها كل أحد؛ فكان ولابد من العلم بالسمات التي يجب أن تتوافر فيمن يدعو الملأ، من سمات ذاتية، وسمات خُلُقية، وسمات مكتسبة.

وبالنظر للقرآن الكريم فقد تعددت المناهج الخاصة بدعوة الملأ من المنهج العقلاني كما فعل إبراهيم عليه السلام وغيره مع أقوامهم، وكالمنهج الحسي كما طبقه سيدنا موسى وعيسي عليهما السلام، وغيرها من المناهج الدعوية الأخرى؛ مما يتوجب معرفة تلك المناهج حتى يكون الداعية إلى الله عزوجل على بصرٍ بالمنهج اللذي يتناسب مع الملأ من قومه، كما تتأكد الحاجة لمعرفة الوسائل والأساليب المناسبة لدعوة الملأ كاللين وعدم الغلظة والفظاظة، وأسلوب الخطابة والكتابة ونحوها، حتى يعتمد الداعية الأسلوب المناسب لدعوته مع الملأ من قومه؛ وتتحقق الغاية من دعوتهم.

ولما كان القرآن الكريم يذخر بفقه دعوة الملأ عبر قصص الأنبياء والمرسلين مع أقوامهم؛ لذا كان لابد من دراسة المحاور السابقة من خلال القرآن الكريم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وستكون هذه الدراسة على أربع مباحث وتمهيد إلى جانب نتائج البحث والتوصيات على النحو التالي:

تمهيد: فيه التعريف بمفردات البحث (فقه – دعوة – فقه الدعوة كعلم – الملأ)

المبحث الأول: سمات "المدعو" – الملأ – من خلال القرآن الكريم

-المطلب الأول: الاستكبار

-المطلب الثاني: الحرص على الزعامة والرياسة:

(١) (سورة يوسف: ١١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-المطلب الثالث: الترف
-المطلب الرابع: تقليد الأمم السابقة في الباطل
-المطلب الخامس: معاداة الحق والتأليب عليه وعلى ودعاته
-المطلب السادس: الإصرار والعناد على الباطل
المبحث الثاني: سمات داعية الملأ من خلال القرآن
- المطلب الأول: سمات ذاتية
- المطلب الثاني: سمات خُلُقية
- المطلب الثالث: سمات مكتسبة
المبحث الثالث: المناهج الدعوية القرآنية في دعوة الملأ
- المطلب الأول: المنهج العقلاني
- المطلب الثاني: المنهج الحسي
-المطلب الثالث: المنهج العاطفي
المبحث الرابع: أساليب ووسائل القرآن في دعوة الملأ
- المطلب الأول: القول
- المطلب الثاني: الكتابة
- المطلب الثالث: الوسائل الحديثة
النتائج
التوصيات

❁ ❁ ❁ ❁

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمهيد

التعريف بمفردات البحث

وحيث إن البحث تحت عنوان: منهج القرآن الكريم في دعوة الملأ دراسة دعوية ؛ مما يستلزم التعريف بمفردات ذلك العنوان، من خلال التعريف بلفظتي: (القرآن – دعوة – الملأ) وذلك على النحو التالي:

القرآن الكريم:-

في اللغة:-

كلمة "قرآن" مشتقة من المصدر "قرأ"، وأصله من "القرء" بمعنى الجمع والضم، يُقال: "قرأت الماء في الحوض"، بمعنى جمعته فيه، يُقال: "ما قرأت الناقة جنينًا"، أي لم يضمَّ رحمها ولد، وسمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض.(١)

هو كلام الله المعجز المنزل على محمد (ﷺ)، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته (٢)(٣٠). والقرآن من المشهورات التي لا تحتاج الى تعريف

الدعوة: أصلها (دعا) من الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث والطلب، ودعا بالشيء دعوًا ودعوة ودعاء ودعوى: طلب إحضاره، وتأتي لفظة الدعوة بمعان عديدة في اللغة منها: مطلق الطلب، والدعاء إلى الله ورجاء الخير، والدعوة: المرة الواحدة من الدعاء، ومن ذلك قوله الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾**﴾ (٣).

---

(١) انظر: معجم المقاييس لابن فارس ص (٧٩٥)، و «المفردات» للراغب ص (٤٠٢)، و«البصائر» للفيروزآبادي (٢٦٢/٤)، ومختار الصحاح للرازي مادة (ق ر أ).

(٢) مناهل العرفان للزرقاني (١٥/١)، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، وانظر: كتاب النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز (ص: ١٠) دار طيبة للنشر الطبعة الأولى، ١٩٩٧، وانظر: المناظرة في القرآن، عبدالله المقدسي (١/ ٢٢)، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق الجديع، وغير ذلك .

(٣) (سورة يوسف: ٣٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحاصل أن الدعوة في اللغة: هي طلب فعل شيء أو تركه [١].

والدعوة في الاصطلاح: إذا أطلقت الدعوة فتنصرف إلى معنى واحد وهو الإسلام الذي هو دعوة الله تعالى للخلق[٢].

وعرَّفها البعض بأنها العلم الذي به تعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة، التي يقوم بها القادر على تبليغ الإسلام على الوجه المشروع وتحقيق انتشاره بين الناس وفق خطة علمية مدروسة[٣].

الملأ: الملأ هم أشراف الناس ورؤساؤهم وساداتهم، وبالأحرى هم أهل الزعامة والقيادة والرئاسة والنفوذ في المجتمعات[٤].

ويتضح مما تقدم؛ أن المقصود بمنهج القرآن في دعوة الملأ هو: **العلم اللازم للقيام بدعوة أشراف الناس وساداتهم، وما ينبغي الحرص عليه في دعوتهم.**

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الناشر: دار صادر – بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ (٢٥٧/١٤ وما بعدها)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار المعارف، ط٣ (٢٨٦/١، ٢٨٧).

(٢) الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم (ص ٣٦)، وما بعدها، تأليف: الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة – القاهرة، الطبعة: ٢٠٠٥م.

(٣) الدعوة ووسائلها، ص١٨، د. عبدالله حسن بركات، الجامعة الدولية لدول أمريكا اللاتينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١م (٢٩٠/١٥)، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية (٤٣٦/١)، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط. الثانية، ١٣٩٢م (١٧١/١٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول
سمات "المدعو" - الملأ - من خلال القرآن الكريم

تتعدد سمات الملأ في القرآن الكريم، كسمت الاستكبار والحرص على الزعامة والرياسة، والترف، وتقليد الأمم السابقة في الباطل، ومعاداة الحق والتأليب عليه وعلى دعاته، والإصرار والعناد على الباطل.

وعليه؛ فيمكن دراسة سمات الملأ في القرآن الكريم، على النحو التالي:

- المطلب الأول: الاستكبار
- المطلب الثاني: الحرص على الزعامة والرياسة:
- المطلب الثالث: الترف
- المطلب الرابع: تقليد الأمم السابقة في الباطل
- المطلب الخامس: معاداة الحق والتأليب عليه وعلى ودعاته
- المطلب السادس: الإصرار والعناد على الباطل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: الاستكبار

نعت الله عزوجل الملأ بصفة الاستكبار في غير موضعٍ من كتابه الكريم، ومن ذلك ما يلي:

- في قصة نبي الله صالح مع قومه وصف الله سبحانه وتعالى الملأ من قوم صالح بالاستكبار

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٧٦﴾[1].

ويتضح من الآيتين الكريمتين تكرار وصف الملأ بالاستكبار، وفي ذلك دلالة- أيما دلالة- على أن استكبارهم صفة لازمة ومتقررة فيهم، وهي التي سببت كفرهم، وأنها ستؤدي إلى هلاكهم وعذابهم في الآخرة.

قال الألوسي:" وأعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير إيذانا بأنهم قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار"[2].

- وفي قصة شعيب عليه السلام وصف الله سبحانه وتعالى الملأ من قومه بصفة الاستكبار

قال تعالى: ﴿۞قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ٨٨﴾[3].

وهنا يتجلى تأصل صفة الاستكبار في الملأ من قوم شعيب عليه السلام؛ حيث بلغ بهم العتو والصلف بتهديد نبي الله شعيب عليه السلام بالإخراج من وطنه أو الاستسلام للباطل.

قال الشوكاني:" قال الأشراف المستكبرون لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك لم يكتفوا بترك الإيمان والتمرد عن الإجابة إلى ما دعاهم إليه، بل جاوزوا ذلك بغيا وبطرا

---

(١) (سورة الأعراف:٧٥،٧٦).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية،، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (٤/ ٤٠٣).

(٣) (سورة الأعراف: ٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأشرا إلى توعد نبيهم ومن آمن به الإخراج من قريتهم أو عوده هو ومن معه في ملتهم الكفرية، أي: لا بد من أحد الأمرين: إما الإخراج، أو العود"[1].

– وتتأكد صفة الاستكبار في الملأ من قوم عاد مع نبي الله هود عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

حيث بلغت الغطرسة والاستكبار منتهاها، وبغوا وعتوا ونسوا أنفسهم بما أنعم الله عليهم من نعمة القوة، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله! فظنوا أنه لا أحد أقوى منهم، لكنهم تناسوا أن من خلقهم هو أشد منهم قوة، أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها، وإن بطشه شديد[3].

– وكان الاستكبار مظهرًا بارزًا في الرد على دعوات الأنبياء، وتكذيبهم والكفر بما يدعون به، فها هم قوم نوح عليه السلام يأبون الحق ويرفضونه بكل وسيلة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾[4] فأبوا إلا تماديا على باطلهم، ونفورا عن الحق، ووضعوا أصابعهم في آذانهم حذر سماع ما يقول لهم نبيهم نوح عليه السلام، وتغطوا بثيابهم غطاء يغشاهم بعدا عن الحق وبغضا له، وعاندوا وأصروا على كفرهم وشرهم[5].

– ومن مظاهر استكبار الملأ احتقار المؤمنين وازدرائهم لضعفهم وقلة نفوذهم وسلطانهم، قال تعالى على لسان الملأ من قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ

---

(١) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١– ١٤١٤هـ (٢/ ٢٥٦).

(٢) (سورة فُصِّلَت: ١٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م (٧/ ١٦٩).

(٤) (سورة نوح: ٧).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م (ص ٨٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

قال الطبري: " وما نراك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس، دون الكبراء والأشراف، فيما نرى ويظهر لنا"[2].

– ولم يك هذا فعل الملأ من قوم نوح عليه السلام مع المؤمنين، ولكنه فعل الملأ في كل زمان ومكان، وهكذا فعل الملأ من قوم قريش، فعن ابن مسعود–رضي الله عنه– قال: مرّ الملأ من قريش بالنبيّ صلى الله عليه وسلم، وعنده صهيب وعمار وبلال وخبّاب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ هؤلاء الذين منّ الله عليهم من بيننا؟ أنحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنك! فلعلك إن طردتهم أن نتّبعك[3]! فنزلت الآية[4]: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٖ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٖ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[5].

– ولم يقتصر العلو والاستكبار على المستضعفين من المؤمنين، بل حتى مع النبي المرسل ذاته، فهم لا يريدون اتباع الحق، ولو كان من أي أحد، بل يريدون العلو في الأرض وفقط، ولو أدى بهم إلى الكفر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ

(١) (سورة هود: ٢٧).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (١٥/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م (٧/ ٩٢). وقال محققه: حديث حسن. وهذا إسناد ضعيف لضعف أشعث، وهو ابن سوار الكندي، وكردوس - وهو ابن عباس الثعلبي - روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في الثقات، أسباط: هو ابن محمد بن عبد الرحمن القرشي.

(٤) تفسير الطبري، مرجع سابق (١١/ ٣٧٤،٣٧٥).

(٥) (سورة الأنعام:٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾[1] فكيف يؤمنوا بالله عز وجل رغم وجود الآيات البينات والمعجزات الواضحات من العصاونحوها، بل العلو والصلف وعدم الإيمان؛ لأن قوم موسى وهارون كانوا طائعين منقادين للملأ من قوم موسى وهارون[2].

وهاهي المعجزات تنزل والآيات تترى، ولكنه الصلف والاستكبار من الملأ، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[3].

يقول صاحب زهرة التفاسير: "إن الله تعالى اختبرهم أولا بالطوفان الذي خرب ديارهم، وأفسد زرعهم فدعوا الله أن يكشف ذلك عنهم، ودعا لهم موسى ووعدوه بأن يؤمنوا إذا كشف عنهم الضر، فكشف فلم يؤمنوا، فأصيبوا بالجراد فطلبوا أن يدعوا لهم فاذا كشف عنهم آمنوا، فكشف فلم يؤمنوا، ثم اختبرهم بالضفادع كذلك، وبالدم كذلك ولم يؤمنوا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين"[4].

– ومن مظاهر الاستكبار كذلك الاستفراغ في التعنت مع الرسل في طلبهم حتى يؤمنوا حتى قالوا كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾[5].

فبينت الآية الكريمة أن ذلك ليس إلا محض بلوغ أقصى الغاية في العتو والاستكبار، وهم أساسًا–وكما جاء في صدر الآية– لا يرجون لقاء الله و الرجوع إليه بالبعث والحشر، فطلبوا نزول الملائكة للرسالة أو لتخبر بصدق محمد ﷺ أَوْ يرون الله عزوجل فيخبرهم بذلك، لقد بلغ بهم الاستكبار مبلغه حتى تفوّهوا بمثل هذه العظيمة

---

(١) (سورة المؤمنون: ٤٥:٤٧)

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م (٥/ ٤١٩).

(٣) (سورة الأعراف: ١٣٣)

(٤)زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي (٦/ ٢٩٣٦).

(٥) (سورة الفرقان: ٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتجاوزوا الحد في الظلم والطغيان حيث أملوا رتبة التكليم الربانيّ من غير توسط الرسول والملك، ولم يكتفوا بهذا الذكر الحكيم والخارق العظيم[1].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثاني: الحرص على الزعامة والرياسة

وهذه سمة ثانية للملأ ملازمة لهم، ولصيقة بهم، وهي حرصهم على مكانتهم ووزعامتهم

بين الناس، ولو أودت بهم إلى الكفر بالله عزوجل، والخلود في نار الجحيم، ولقد أورد القرآن الكريم أمثلة عدة لذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ٧٨**﴾[2].

وضحت الآية الكريمة أنهم استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له وكانوا قوما مجرمين،وقالوا أجئتنا لتثنينا عن الدين الذي نحن عليه، وتكون لك ولهارون العظمة والرياسة في الأرض، فكان هذا هو السبب-والسبب الوحيد لكفرهم- ثم أعلنوها صراحة: ما نحن لكما بمؤمنين[3].

وكما نقل صاحب التفسير الكبير عن الزجاج قوله:" سمى الملك كبرياء، لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا، وأيضا فالنبي إذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد أمر أمته إليه، فصار أكبر القوم"[4].

-بل ويزداد مكرهم وخبثهم ويرمون الأنبياء بدائهم، وأنهم برسالتهم يريدون أن يتفضلوا على أقوامهم، يقول تعالى: ﴿**فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا**

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ (٧/ ٤٢٤).

(٢) (سورة يونس: ٧٨)

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٤/ ٢٨٥).

(٤) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠هـ (١٧/٢٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

يقول تعالى جلَّ ذكره: فقال زعماء قوم نوح عليه السلام الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: أن نوحًا أيها القوم ما هو إلا بشر مثلكم، هو إنسان مثلكم وكبعضكم يريد أن يصير له الرياسة والفضل عليكم، فيكون متبوعًا وأنتم له تبع له[2].

– ثم كانت نتيجة ذلك الحرص على السؤدد والزعامة بأي ثمن أن طعنوا في النبي المرسل، وبالأحرى في رسالته، قال تعالى: ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[3].

أي: كيف اختصّه الله تعالى من بيننا بالوحي والنبوة، وفينا من هو أحق بذلك منه، بل هو فيما يدعيه من نزول الوحي الإلهي عليه، متكبرٌ بطر، وهذا التكبر هو سبب علوه علينا، فكان الرد من الله عزوجل في تهديد شديد: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾[4]سيعرفون قريبًا جدًا وقت نزول العذاب بهم في الدنيا، أو يوم القيامة، وسيتضح لهم من هو المفتري الكذب، والمرادأنهم هم الكذابون البطرون المتكبرون[5].

وهذا هو –عينه– ما فعله الملأ من قوم قريش مع النبي–صلى الله عليه وسلم–؛ إذ استنكفوا أن ينزل القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام متمنين أن لو كان نزوله على شريف من أشرافهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾[6].

---

(١) (سورة المؤمنون: ٢٤)

(٢) تفسير الطبري، مرجع سابق (١٩/ ٢٥).

(٣) (سورة القمر: ٢٥).

(٤) (سورة القمر: ٢٦).

(٥) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق
الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ (٢٧/ ١٦٧).

(٦) (سورة الزُّخرُف: ٣١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقصدوا بذلك الوليد بن المغيرة من أهل مكَّة وعروة بن مسعود الثقفيِّ من الطَّائف[1].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثالث: الترف

بيّنت آيات كثيرة من القرآن الكريم هذه الصفة للملأ، وأنهم ينهمكون في الشهوات واللذات، وأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكانوا مترفين منعمين، ومن ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾**﴾[2].

وتوضح الآية الكريمة أنه رغم أن الله قد أنعم على هؤلاء المترفين في الحياة الدنيا، وبسط لهم من الخيرات ما يجعلهم يطيعون ربهم ويشكرونه على هذه النعم، ولكن كان الجحود والتكذيب والكفر حتى نفوا الرسالة عن الأنبياء والمرسلين[3].

- وهذا دأب المترفين في كل عصر ومصر، كما حدث مع قارون؛ حيث قال تعالى: ﴿**۞إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾**﴾[4].

فها هي الآية تقرر أن قارون كان واحدا من آحاد قومه لا يفترق عنهم في شيء؛ حتى مَنَّ الله عز وجل عليه بالنعم والخيرات العظيمة التي يتعب في حملها الأقوياء الأشداء، لكنه اغتر وبطر على قومه، فنصحوه ألا يغفل وأن يشكر نعم الله عليه، وأن

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ (ص: ٩٧٣).

(٢) (سورة المؤمنون: ٣٣)

(٣) تفسير الطبري، مرجع سابق (١٩/ ٢٩).

(٤) (سورة القصص:٧٦،٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يصرفها في مصارفها الشرعية، وأن يريد بها وجه الله تعالى، وألا يفتخر بها على الناس، وأن يشكر نعم ربه عليه؛ فينال خيري الدنيا والآخرة، فماذا كان الجواب ؟ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾[القصص:٧٨] فقال قارون: إن هذه الأموال نتيجة مهارتي وكسبي؛ولأن الله يعلم أني أهل لذلك، لكن عطاء الله تعالى ليس دليلا على حسن حالة المعطي، ولقد أهلك الله تعالى من هو أكثر منه مالا وأشد صلفا، وهذه سنة الله تعالى مع المجرمين، بسبب أفعالهم التي اقترفوها، وبسبب جحودهم نعم ربهم[(١)].

إزاء ما تقدم؛ كان دأب المترفين دائما وأبدا هو إعلان الكفر بالأنبياء والمرسلين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾[(٢)]

أي أن سنة الله مع المترفين حال إرسال النذر لهم أن قال جبابرتهم وقادتهم ورؤوسهم في الشر أننا لا نؤمن بما أرسل النبيون ولا نتبعه[(٣)].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الرابع: تقليد الأمم السابقة في الباطل

والسمة الرابعة من سمات الملأ هي تقليد الأمم السابقة في الباطل، وتعد هذه سمة لصيقة بأولئك الصنف من المدعوين، بل هو دأب الملأ المترفين في اتباع الباطل والإعراض عن الحق، فهذا ما كان أسلافهم عليه، وقد وردت آيات كثيرة تدل على هذا المعنى، بل تكرر هذا الأمر في القرآن الكريم في غير موضع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾[(٤)].

وكذلك قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾[(٥)].

---

(١) تفسير السعدي، مرجع سابق (ص: ٦٢٤).
(٢) (سورة سبأ: ٣٤).
(٣) تفسير ابن كثير ، مرجع سابق (٦/ ٥٢١).
(٤) (سورة المائدة: ١٠٤).
(٥) (سورة لقمان: ٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: وإذا قيل لهؤلاء اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدِّقوا به، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى، قالوا: بل نقتفي آثار ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حقّ، قال الله تعالى ذكره (أَوَلَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ) بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على كفرهم بالله، وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه (إلى عَذَابِ السَّعِيرِ) يعني: إلى عذاب النار التي تتسعر بهم يوم القيامة(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣﴾(٢).

قال السعدي: "أي: فهؤلاء ليسوا ببدع منهم، وليسوا بأول من قال هذه المقال، وهذا الاحتجاج من هؤلاء المشركين الضالين، بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل"(٣).

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الخامس: معاداة الحق والتأليب عليه وعلى ودعاته

وإذا كان الملأ يتصفون بالعلو والاستكبار، ويحرصون-أيما حرص- على منزلتهم ورياستهم؛ وهم مترفون منهمكون في اللذات والشهوات؛ فكان لابد من النتيجة الحتمية معاداة الحق بكل سبيل، والتحريض عليه وعلى دعاته بشتى أنواع السبل، وقد بيَّن ذلك القرآن الكريم أوضح البيان، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾(٤) فحرصًا على مكانتهم التي صنعوها باستعباد الناس لهم، وخوفا من انقلاب الخلائق عليهم حين رأوا السحرة جاهروا بالإسلام، انكشف الوجه الحقيقي لهم؛ فقالوا: أتترك مُوسى في أرض مملكتك بتغيير الناس عنك وصرفهم نحوه(٥).

- أن السبب الرئيس لمعاداة الملأ للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليس إلا كراهية الحق، يقول تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ

(١) تفسير الطبري، مرجع سابق (٢٠/ ١٤٩).
(٢) (سورة الزُّخرُف: ٢٣).
(٣) تفسير السعدي، مرجع سابق (ص: ٧٦٤).
(٤) (سورة الأعراف: ١٢٧)
(٥) تفسير القاسمي، مرجع سابق (١٦٨/٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٦٨ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٠﴾[1].

- وتتطلب معاداة الحق الصبر والتصبر على الباطل، فكانوا يوصون بعضهم بعضًا بالصبر والجلد على ذلك الباطل، قال تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ٦﴾[2].

ويجلي النسفي هذا بقوله على لسانهم: (أَنِ امشوا) {وَٱصْبِرُوا۟ على} عبادة {آلهتكم إِنَّ هذا} الأمر {لَشَىْءٌ يُرَادُ} أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه[3].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب السادس: الإصرار والعناد على الباطل

- وهذه خصيصة أخرى للملأ تأتي مكملة لسابقتها، وهي معاداة الحق وأهله والتأليب عليه؛ إذ لا بد حينئذ من الاستمرار على الباطل رغم قوة جلاء الحق، وبيان دلائله، ولكنه العلو والاستكبار، ولقد تجلى ذلك في آيات عدة في القرآن الكريم، ومن ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ١٣٦﴾[4].

أي: أرح نفسك من دعوتك هذه، فالأمور تساوت عندنا إذا كنت الواعظ المذكر بالنعم، والمنذر بالنقم، أم تركتنا وشأننا وفي أمورنا، وحالنا[5].

- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾[6]

---

(١) (سورة المؤمنون: ٦٨-٧٠).

(٢) (سورة ص: ٦).

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م (٣/ ١٤٥).

(٤) (سورة الشعراء: ١٣٦).

(٥) زهرة التفاسير، مرجع سابق (١٠/ ٥٣٨٧)

(٦) (سورة الأعراف: ١٣٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وقال آل فرعون لموسى: يا موسى، مهما تأتنا به من علامة ودلالة "لتسحرنا"، يقول: لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون (فما نحن لك بمؤمنين)، يقول: فما نحن لك في ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا إليه"[1].

-قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾[2]

وتبين الآية الكريمة قولهم أن قلوبنا في أغطية لا تفقه ما تقول، ولا يصل إليها قولك، وأن الصمم لازم في أسماعنا من قولك، وأنه ثمة حاجز بيننا وبينك، وهذه تمثيلات لصرف قلوبهم عن إدراك الحق، وإعراض أسماعهم عنه، وامتناع التواصل بينهم وبين رسول الله ﷺ[3].

- والحق أنهم يعلمون علم اليقين صدق الرسل وصحة دعوتهم، ولكنه التكذيب والجحود بآيات الله تعالى، يقول تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٣٣﴾[4].

فيوضح الله عزوجل في هذه الآية الكريمة، وهو يسلي نبيه عليه الصلاة والسلام عن إعراض قومه وتكبرهم، وصلفهم وطعنهم في دينه: ألا يحزن قلبه مما يفترون، فحقيقة الأمر أنهم لا يتهمونك في شيء، ولكنه الجحود والاستكبار عن الرضوخ لآيات الله تعالى[5].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري، مرجع سابق (١٣/ ٤٩).
(٢) (سورة فُصِّلَت:٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني، مرجع سابق (٤/ ٥٧٩).
(٤) (سورة الأنعام: ٣٣).
(٥) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٣/ ٢٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني
سمات داعية الملأ من خلال القرآن

إزاء الصفات المتقدمة التي يتسم بها الملأ في القرآن الكريم، كان لابد من توافر سمات أساسية في الداعية الذي يواجه هذا الصنف من المدعوين، فليس كل داعية يستطيع أن يدعو الملأ، بل لابد من توافر صفات وسمات محددة تناولها القرآن الكريم.

وتتنوع هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها داعية الملأ ما بين صفات ذاتية، وصفات خُلُقية، وصفات مكتسبة.

وعليه، يمكن دراسة سمات داعية الملأ من خلال القرآن الكريم، على النحو التالي:

- المطلب الأول: سمات ذاتية
- المطلب الثاني: سمات خُلُقية
- المطلب الثالث: سمات مكتسبة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: سمات ذاتية

تتعدد صفات الملأ من الاستكبار، والترف، وكراهية الحق ومعاداة أهله، والإصرار والعناد على الباطل وغيرها؛ ولذا كان لابد من توافر سمات ذاتية في الداعية الذي يتعامل مع الملأ حتى يحقق الثمرة المرجوة من دعوته، ومن تلك الصفات ما يلي:

أولا: الشجاعة والعزة

تعد صفتا الشجاعة والعزة من أهم الصفات الذاتية التي يجب أن يتمتع بها الداعية الذي يدعو الملأ، وتعد من الصفات القيادية التي يجب أن تتوافر في الداعية أساساً، وفي داعية الملأ على وجه الخصوص.

فمن جهة فإن الملأ يجابه صنفاً من الناس يحملون صفات الكبر والغطرسة والعلو والفساد في الأرض، ويظنون أنهم ملكوا البلاد ورقاب العباد، بل وكأن الناس لهم عبيد يستضعفون من يريدون ويسومونهم سوء العذاب، فهم يستخدمون ذهب المعز وسيفه، ويحملون المال والذهب بيد، وبيدٍ أخرى العذاب والتنكيل بالمستضعفين؛ ولذا تجد عموم الناس وضعاف القلوب تؤثر فيهم هذه المشاهد، وتنطلي عليهم هذه الأفاعيل، بل ويسيرون في ركابهم ذات اليمين وذات الشمال، بل ويعظمونهم أيما تعظيم، ولو ارتكبوا المخالفات والموبقات، فمن يقف ليدعو هؤلاء وهو بمقاييس الأرض خالي الوفاض، إن لم تكن عنده سمات ذاتية، وآكدها الشجاعة والعزة.

ومن جهة أخرى فقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن الناس مع القوي، والعزة والشجاعة من مظاهر القوة، فالناس يكرهون الضعيف الذليل، الذي ينحني ويبيع نفسه بثمن بخس، وحتى لو كان الناس مع الداعية بقلوبهم فقط، فإنه تبقى للشجاعة والعزة أثرهما في انقياد بعض الناس لهم، والدعاء بالنصر لهم[1].

وبالأحرى، فإن صفتا الشجاعة والعزة مما تكسب المهابة للداعية-ليس فقط من قبل عموم المدعوين، بل حتى الملأ أنفسهم.

إن من لديه صفتا العزة والشجاعة تتمكنان منه وتظلان صفتان لصيقتان بالداعية، لا تفارقاه أبدا حتى لو كان السيف على رقبته، وانظر إلى سحرة فرعون لما آمنوا وتمكنت منهما هاتين الصفتين هدَّدهم فرعون وقال كما ورد في القرآن الكريم: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ

(١) ينظر: الدعوة الإسلامية، لأحمد غلوش، مرجع سابق (ص٥١٨ وما بعدها).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾[1]، وكان ردهم بثبات: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾[2]، وما ثبتوا على ذلك بعد لحظات من إيمانهم؛ إلا لأنهم ذاقوا حلاوة هذا الإيمان وهو الذي جعلهم أكثر اطمئناناً وثباتاً، وفضلا عن تمكن سمتي الشجاعة والعزة منهم حتى في حالات التهديد بالقتل.

ومصدر هذه الشجاعة والعزة- بالإضافة إلى أنهما صفتان ذاتيتان للداعية- هو إن الإيمان يحقق للمؤمن اليقين والثقة بالله التي تكسبه بالتالي ثقة في نفسه، فلا يخشى شيئًا في هذه الحياة، فهو يعلم أن الأمر كله لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾[3]، كما يوقن أن رزقه بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[4]، وأنه ما من دابة في الأرض إلا وتكفل الله برزقها، قال تعالى: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[5] ولو لم تكن تستطيع أن تأتي برزقها، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾[6]، ويوقن أن رزقه سيأتيه لا محالة، وأن ذلك حق لاشك فيه، قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[7]، وأنه سبحانه وتعالى قد قسَّم الأرزاق بين الناس وقدَّرها، قال تعالى:﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(١) (سورة طه:٧١).
(٢) (سورة طه: ٧٢).
(٣) (سورة الأنعام:١٧) .
(٤) (سورة العنكبوت:١٧).
(٥) (سورة هود:٦).
(٦) (سورة العنكبوت:٦٠).
(٧) (سورة الذاريات: ٢٢، ٢٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١)، ويؤمن إيمانًا جازمًا بأن الله يبتليه دائمًا في الخير والشر، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٢) ولولا لطف الله سبحانه لهلك هلاكًا شديدًا.

كما أنه يعلم أنه ضيف في هذه الدنيا مهما طال عمره أو قصر، فهو بلا شك سينتقل إلى العالم الآخر؛ لذا فهو يسير في هذه الدنيا على هذا الأساس،لا يخاف مصائب الدهر، ولا يخشى أحدا إلا الله، ولو كان عدوه قاب قوسين منه أو أدنى، قال تعالى في شأن موسى عليه السلام-داعية الملأ- لما أدركه فرعون بجنوده: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾(٣)

وهذا سيد دعاة الملأ محمد، صلى الله عليه وسلم، لو نظر عدوه تحت قدميه لرآه، ولكنه بلغة الواثق من ربه يقول لصاحبه في الغار أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "لاتحزن إن الله معنا"، وهذا ما حكاه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(٤) .

كما أنه يوقن أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقدر الموت فلا يخاف الموت، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٥)، بل يوقن أنه حقيقة واقعة لا مفر منها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

(١)(سورة سبأ:٣٦).
(٢)(سورة الأنبياء:٣٥).
(٣)(سورة الشعراء:٦١-٦٧).
(٤)(سورة التوبة:٤٠).
(٥)(سورة الزُّمَر:٤٢) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٨﴾[1]، وأن الموت لا يأتي إلا في أجله المكتوب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٦١﴾﴾[2][3].

- وتتجلى صفتا الشجاعة والعزة في إمام دعاة الملأ، رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ذلك لما حرَّض الملأ من قريش أبا طالب عليه وأنه شتم آلهتنا، وسب آبائنا، وعيَّب ديننا، فماذا قال سيد دعاة الملأ لعمه، يقول ابن إسحق:" أنه حدث أن قريشا حين قالت لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ فقال له: يابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا: كذا وكذا، للذي قالوا له، وآذوني قبل، فأبق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذي فرَّق بيننا وبينهم، فظن رسول الله ﷺ أنه قد قدا لعمه فيه بداء، وأنه خاذله ومسلمه؛ وضعف عن نصرته والقيام معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى، فلما ولى قال له- حين رأى ما بلغ الأمر برسول الله صلى الله عليه وسلم-: أقبل يا ابن أخي، فأقبل عليه، فقال: امض على أمرك وافعل ما أحببت، فو الله لا نسلمك بشيء أبداً"[4].

ثانياً: الذكاء وسعة الأفق

يقابل دعاة الملأ فئاماً تعودوا على التكبر والصلف؛ وبالتالي فهم لايريدون الحق ولا يتقبلونه، فضلا عن القائمين بالحق العاملين به؛ ولهذا تجد منهم المجادلة والمراوغة واللجاج في الخصومة والمدافعة بالباطل؛ مما تمس معه الحاجة أن يجابه ذلك بالذكاء وسعة الأفق؛ حتى يستطيع أن يرد هذا اللجاج، وذلك المكر.

وهكذا كان حال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن الملأ من قوم شعيب عليه السلام؛ إذ قالوا: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ

(١)(سورة الجمعة:٨).
(٢)(سورة النحل:٦١).
(٣) ينظر: الدعوة الإسلامية لغلوش، مرجع سابق (ص٥١٨ ومابعدها).
(٤) سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر — بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م (ص١٥٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٩١﴾[1]، فقد بهتهم بالحجج والبينات، فلم يبق معهم إلا سلاح الترهيب، وتم الابتعاد عن أصل قضية الدعوة، فما كان من ذكاء وسعة أفق داعية الملأ، شعيب عليه السلام إلى أن قال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِۖ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٩٢﴾[2].

أي: أتتركوني لأجل قومي، وليس إعظاما لجناب الله أن تنالوا نبيه بمساءة. وقد اتخذتم جانب الله خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه، وهو يعلم جميع أعمالكم وسيجزيكم بها[3].

ثالثا: سرعة البديهة

وتأتي هذه الصفة متممة للصفات السابقة التي يجب تحلي دعاة الملأ بها، وذلك إزاء جانب المحاورات مع الملأ، وما قد يظهر في بعضها من محاولة تعجيز الدعاة إلى الله تعالى، وإظهارهم بمظهر العاجزين عن الرد وفقر بضاعتهم؛ مما يؤثر على الدعوة ذاتها، وقد عرض القرآن الكريم نماذج عدة في هذا الصدد.

فقد قال تعالى: ﴿۞يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩﴾[4]

فقد جاء السؤال عن الأهلة ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها، {قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ} أي: جعلها الله تعالى ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، وأوقات الحج، فكانت سرعة البديهة من النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه أجاب، وربط إجابته بما يفيد السائل في دينه، ويكون متعلقاً بها، رغم أن السؤال ليس وجها أساساً لذلك الأمر، وإنما هي سرعة بديهة الداعية في الوصول إلى المقصود من أقصر طريق.

قال السعدي:" ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلا فالآمر بالمعروف،

---

(١) (سورة هود:٩١).

(٢) (سورة هود:٩٢) .

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٤/ ٣٤٧)، الدعوة الإسلامية لغلوش، مرجع سابق (ص٤٨٥ ومابعدها).

(٤) (سورة البقرة:١٨٩) .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده" [1].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثاني: سمات خُلُقية

تتعدد الصفات الخُلُقية التي يجب أن تتوافر في داعية الملأ، ومن تلك الصفات الخُلُقية ما يلي:

أولًا: الإخلاص

يعد الإخلاص شريان الحياة للدعوة والداعية، فهو المداد الذي يتحرك به الداعية ابتغاء مرضاة الله عزوجل وحده، لا سواه، وهو وقود الدعوة الذي يفتح به الله سبحانه وتعالى على الداعية، كيف لا، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥**﴾[البيِّنة:٥]

وكم حكى الواقع المعاصر فرق بين دعاة ودعاة، بل وعلماء؛ إذ أثمرت دعوة الدعاة الذين تبدت عليهم ملامح الإخلاص، وأثمرت شجراً طيباً يانعاً، وفي المقابل لم تؤت كلمات كثيرة من العلماء أكلها، وبدت جوفاء مظلمة، تخرج من الأذان كما دخلت.

وما أجمل ما أورده الذهبي في سيره في هذا الأمر وكأنه يتكلم عن حالنا اليوم؛ بعدما عرض كلام أحد السلف عن الإخلاص حيث قال: " قال عون بن عمارة: سمعت هشاما الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول إني ذهبت يوما قط أطلب الحديث، أريد به وجه الله عز وجل.

قلت (الذهبي): والله ولا أنا، فقد كان السلف يطلبون العلم لله، فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولا لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد، وغيره: طلبنا هذا العلم، وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد.وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى

(١) ينظر: تفسير السعدي، مرجع سابق (ص: ٨٨)، الدعوة الإسلامية لغلوش (ص٤٨٦ ومابعدها).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يكون إلا لله، فهذا أيضا حسن، ثم نشروه بنية صالحة.وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نووا. قال: عليه الصلاة والسلام: " مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَهُوَ لَا يَنْوِي فِي غَزَاتِهِ إِلَّا عِقَالًا فَلَهُ مَا نَوَى " [1] .وترى هذا الضرب لم يستضيؤوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله –تعالى–.

وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتبا لهم، فما هؤلاء بعلماء! وبعضهم لم يتق الله في علمه، بل ركب الحيل، وأفتى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار.

وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار.

وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئا كبيرا، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل.

وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله؛ لأنهم ما رأوا شيخا يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبا مثمنة، يخزنها، وينظر فيها يوما ما، فيصحف ما يورده، ولا يقرره.

فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم، ولا رأيت عالماً" [2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥ / ٣١٥)، والدارمي في سننه، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠م (٢ / ٢٠٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٦ / ٢٤)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط. الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م. من حديث عبادة ابن الصامت، مرفوعا، بلفظ: من غزا في سبيل الله، ولم ينو إلا عقالا، فله ما نوى.

(٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م (٧/١٥٣،١٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثانياً: الصدق

أمر الله تعالى الفرد المسلم عامة بالصدق، وظهر ذلك في آيات كثيرة تتحدث عن الصدق وفضليته، وتأمر المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩**﴾(١)، ولأنَّه ينفع العبد وينجيه من سخط الله، ويؤدي به إلى الجنان ﴿**قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩**﴾(٢) .

وإذا كان هذا في المسلم العادي، فما بالنا بالداعية إلى الله عزوجل، بل بداعية الملأ فيجب أن تتوافر تلك الصفة فيه قولاً وعملاً، جناناً وسلوكاً؛ فإذا ما استقام على ذلك ترقى في مدارج الكمال حتى وصل لدرجة الصديقية، فيكون دخول داعية الملأ في أي عمل، وتكون حياته بالله ولله، فغايته هي الله وحده، كما قال تعالى في محكم آياته: ﴿**قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢**﴾(٣) .

فإذا بلغ المسلم هذه الدرجة من الصديقية لم يعد في نظره غرض مقبول لرغبته في الحياة إلّا إذا كان بقاؤه فيها وسيلة لمرضاة الله، فإذا فاته هذا

الغرض أو لم يستطعه رَغِب عن الحياة وأحبَّ الموت .

بل إن الداعي الصادق يظهر أثر صدقه في قوله وأفعاله، بل حتى في وجهه وصوته، فقد كان –صلى الله عليه وسلم– يتحدث إلى من لا يعرفونه، فيقولون: والله ما هو بوجه كذَّاب، فهذا عبد الله بن سلام حبر يهود وأعلمهم بالتّوراة يقول: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل النّاس إليه، وقيل قدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم–

(١)(سورة التوبة:١١٩).
(٢)(سورة المائدة:١١٩).
(٣)(سورة الأنعام:١٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثلاث مرّات- فجئت في النّاس لأنظر إليه فلمّا تأمّلت وجهه واستثبتّه «٤» عرفت أنّ وجهه ليس بوجه كذّاب..»[١].

وهكذا يجب أن يكون داعية الملأ، فلا، ولن يصمد أمام الملأ إلا داعية الصدق.

ثالثاً: الصبر

لا بد للداعي إلى الله من التحلي بالصبر؛ لأنه سيؤذى في دعوته لا محالة، فكل الرسل قد عودوا، وقد قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾**﴾[٢]، ولذلك قرن الله الصبر مع التواصي بالحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿**وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾**﴾[٣]، وقال تعالى عن لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿**يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾**﴾[٤]

قال صاحب "محاسن التأويل":"يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ أي بحدودها وفروضها وأوقاتها، لتكميل نفسك بعبادة ربك وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ لتكميل غيرك وَاصْبِرْ عَلى ما أَصابَكَ أي من المحن والبلايا. أو فيما أمرت به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الداعي إلى الحق معرّض لإيصال الأذى إليه. وهو أظهر. ويطابقه آية ﴿

---

(١) رواه الترمذي برقم (٢٤٨٥)، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، ت: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم (١٣٣٤)،، ابن ماجة – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط. الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م، والدارمي برقم (١٥٠١) ت – حسين سليم الداراني الناشر: دار ابن حزم الرياض ط الثانية١٤٣١هـ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م (٣/ ١٣). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢)(سورة الفرقان:٣١).

(٣)(سورة العصر١:٣).

(٤) (سورة لقمان:١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]، إنَّ ذلِكَ إشارة إلى الصبر، أو إلى كل ما أمر به مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ؛ أي: مما عزمه الله من الأمور. أي قطعه قطع إيجاب"[2].

وقد أوذي سيدنا ونبينا محمد ﷺ من الملأ من قوم من قريش إبان وجوده في مكة، كما لقي أيضاً من الملأ من المدينة ومن اليهود أذى كبيراً، قولا وفعلا، في نفسه وفي أهله، ومنهم من تآمر على قتله.

فالداعي إلى الله لا بد وأن يؤذى، ويبتلى.

فإذا كان الداعي إلى الله من آهل الصبر استمر في دعوته، وإن كان من أهل الجزع والضعف والخور، ترك الدعوة إلى الله وإن كان من أهل الحمق والجهل ربما اعتدى على من يدعوهم، وانتصر لنفسه فأفسد دعوته، وأبطل جهاده في سبيل الله .

ويتأكد هذا في داعية الملأ؛ إذ سيواجه بأشد صنوف الأذى والمحاربة، ومن كل وجه، في نفسه وماله وأهله؛ فيجب أن يصطبر لذلك ابتغاء مرضاة الله عزوجل

رابعاً: الحرص على هداية الملأ:

ورغم صنوف الأذى والمتاعب التي سيلاقيها الداعي إلى الله؛ فيجب أن يكون حريصاً على هداية من يدعوه، فيسعى لهداية الكافر، والضال، والمبتدع، وكل من تنكب عن سبيل الهدى، وهو هو إمام الدعاة إلى الملأ كان حريصاً على هداية الجميع بكل سبيل؛ حتى أنه ليتفطر ألما ويحزن أشد الحزن، ويقتله الغم أسفاً على عدم إيمان المدعوين.قال تعالى معزياً له: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾[3]

بل لما بلغ من حرصه ﷺ على هداية قومه؛ نعته بذلك في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾[4]

---

(١) (سورة العصر:٣).

(٢) تفسير القاسمي، مرجع سابق (٣١/٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: لقد جاءكم رسول تعرفونه، لا من غيركم، عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه وحريص على هُدَى ضُلالكم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق بالمؤمنين رفيق رحيم(١).

ويعلمنا الله عزوجل أنه مهما بلغ حرص الداعية على هداية المدعوين، فإنه قد يواجه أناساً بلغوا من العمى والضلال مبلغه، فلا يريد الحق ولا الهداية، قال تعالى: ﴿**إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧**﴾(٢)

ويبين الشيخ أبو زهرة في تفسير هذه الآية أن:" الخطاب للنبي – ﷺ – الذي كان حريصا على هداية قومه، والحرص هو الرغبة الشديدة في أمر من الأمور، وقد كان النبي – ﷺ – راغبا في هداية قومه، فأما من كتب عليه الضلالة، وقدرها له الله في قدره المحتوم، ولوحه المحفوظ فلا يهديه، وذلك لأنه سلك سبيل الغواية ولم يتفكر ويتدبر، وسيطرت عليهم أوهام المادة، والجاه والسلطان وحب السيطرة فإنه تكتب عليه الضلالة، ولترك الله تعالى له سادرا في غلوائه يكون كمن يضله، فلَا أحد ينصرهم، وهذا يومئ إلى أنهم يعتريهم عذاب أليم، لَا ينقذهم منه ولي ولا ناصر لهم، وفيه دلالة على أنهم ما داموا قد رتعوا في الغي، فلا يمكن أن يكِون لهم هاد مرشد، وسبب هذا الجحود سببه أمران:الاستكبار، وجحود اليوم الآخر"(٣).

ومن الحرص على هداية الملأ الرحمة بهم وإرادة الخير لهم والنصح لهم؛ لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، كالوالد مع أولاده يحرص على إبعادهم عما يسبب لهم الهلاك، ولا ينفر من صدودهم، ويعيد الكَرَّة معهم، ويتحمَّل أذاهم ويدعو لهم بالهداية، وكما فعل رسول –صلى الله عليه وسلم– يكرِّر دعوته إلى قريش ويتحمَّل أذاهم، ويقول: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

ومن مظاهر الحرص على هداية الملا ألا يجازي الداعية على إساءته إليه، قال تعالى: ﴿**خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩**﴾ .بل يحتمل صدور الأذى منهم، ويعفو يصفح، ويبتعد عن خشونة الطبع وغلظة القلب، قال تعالى: ﴿**فَبِمَا**

(١) تفسير الطبري، مرجع سابق (١٤/٤٨٥).
(٢)(سورة النحل:٣٧).
(٣) ينظر: زهرة التفاسير، مرجع سابق (٨/٤١٧٦ وما بعدها).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[1]

يقول الدكتور الزحيلي:" فبعد أن عفا الله عما بدر من المسلمين في أحد، وحذرهم من التأثر بأقوال المنافقين، أعقبه بعفو القائد المصطفى الذي ساءه هذا الموقف وما أدى إليه من الجراح والآلام، فقد عاملهم بالرفق واللين والحلم، وخاطبهم باللطف وحسن المعاشرة، بل استشارهم في مستقبل الأحداث ومصالح الدنيا لما عرف عنه من سمو الأخلاق وحكمة القيادة، فهو رحمة للعالمين"[2].

خامسا: الحكمة

تعد من آكد السمات التي يجب أن يتصف بها داعية الملأ الحكمة، والحكمة- - هي:" وضع الأمور في نصابها،، والوصول إلى الأهداف المطلوبة بأيسر الطرق وأحسنها كما أمر الله باللين في الدعوة مع الجبابرة: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[3]، وبالشدة في مواطنها كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]. وبالعفو واللين في مواطنه ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[5]،والخلاصة أن الحكمة وصف جامع للعلم النافع الذي يمكن صاحبه من وضع كل أمر في نصابه، مما ييسر له الوصول إلى أفضل النتائج بأيسر السبل .

(١)(سورة آل عمران:١٥٩) .
(٢) التفسير المنير للزحيلي، مرجع سابق (١٣٩/٤).
(٣)(سورة طه:٤٤).
(٤)(سورة التوبة:٧٣).
(٥)(سورة آل عمران:١٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد أمر الله عزوجل باتخاذ الحكمة سبيلا للدعوة، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾[1]

وقد أبدع الشيخ السعدي حال تفسيره للحكمة؛ حيث قال:" {بالحكمة}: أي كل أحد على حسب حاله وفهمه، وقبوله وانقياده، ومن الحكمة، الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبدأة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر، والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، إما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله، وإهانة من لم يقم به، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين، من الثواب العاجل والآجل، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان المدعو، يرى أن ما هو عليه حق، أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلاً ونقلاً، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة، تذهب بمقصودها ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"[2].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثالث: سمات مكتسبة

هناك ثمة سمات مكتسبة يجب على داعية الملأ أن تتوافر فيه، وجماع هذه السمات العلم، والعمل، وبيانهما كالتالي:

أولاً: العلم

يعد العلم هو سلاح الداعية الأول مع الملأ، ومن لا علم له لا دعوة ترجى من وراءه، فالعلم هو الركن الركين للدعوة، وهو أساس الدعوة ولحمتها، فإذا لم يملك الداعية العلم، فبم يدعو؟

---

(١) (سورة النحل:١٢٥).

(٢) تفسير السعدي، ص٤٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا انتفى العلم لدى الداعية العلم المطلوب فسيقع في القول على الله ورسوله بغير علم؛ فيكون ضرره أكثر من نفعه وفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

فالعلم قبل القول والعمل كما ترجم بذلك الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه، لقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[1]، فقدَّم العلم على العمل.

والعلم هو العلم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، كما ذكر ابن القيم-رحمه الله-:

الْعِلْمُ قَـــالَ اللَّهُ قَـــالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحَابَةُ لَيْسَ خُلْفٌ فِيهِ
مَا الْعِلْمُ نَصْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً ... بَيْنَ النُّصُوصِ وَبَيْنَ رَأْيِ سَفِيهِ
كَلَّا وَلَا نَصْبُ الْخِلَافِ جَهَالَةً ... بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فَقِيهِ
كَلَّا وَلَا رَدُّ النُّـــصُوصِ تَعَمُّدًا ... حَذَرًا مِنْ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ
حَاشَا النُّصُوصَ مِنْ الَّذِي رُمِيَتْ بِهِ ... مِنْ فِرْقَةِ التَّعْـــطِيلِ وَالتَّمْوِيهِ[2].

ويكفي في العلم أنه الأمر الوحيد الذي أمر الله بطلب المزيد منه، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[3]

وأن الله عزوجل يتولى بذاته العلية رفع العلماء إلى أعالي الدرجات، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[4]

ثانياً: العمل:

يجب على الداعية إلى الله أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إليه، وخاصة داعية الملأ، فإذا دعا غيره إلى خير كان أسبق الناس إليه، وإذا نهاهم عن شر كان أبعد الناس منه؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ

(١) (سورة محمد:١٩).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ (٦٣/١).
(٣) (سورة طه:١١٤).
(٤) (سورة المجادلة:١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾[1] وهذا شأن الدعاة إلى الله عزوجل، قال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾[2]

أي: "وإنني على بينتي، ما أريد أن أخالفكم في ذلك، مائلاً إلى ما أنهاكم عنه، بل أنا مستمسك به قبلكم، وما أريد إلا الإصلاح العام فيما آمر به، وفيما أنهى عنه مادمت أستطيعه ؛ لأنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ليس لي هوى ولا منفعة شخصية خاصة بي فيهما، ولولا ذلك لما فعلته. وما توفيقي لإصابة ذلك فيما أستطيعه منه إلا بحول الله وقوته، وفضله ومعونته، وأعلاها ما خصني به دونكم من نبوته ورسالته، وعليه توكلت في أداء ما كلفني من تبليغكم ما أرسلت به، لا على حولي وقوتي، وإليه وحده أرجع في كل ما نابني من الأمور في الدنيا، وإلى الجزاء على أعمالي في الآخرة، فأنا لا أرجو منكم أجراً، ولا أخاف منكم ضرا"[3].

والعلم والعمل يعد من الصفات المكتسبة للداعية، فيستطيع الداعية أن يكتسب العلم بالتعلم، وأن يعمل بما يدعو إليه حتى تكون له مصداقية عند الملأ، وقد عاب الله تعالى على قوم أنهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾[4]

فإذا استقام داعية الملأ على العلم قبل أن يدعو، والعمل بما علم؛ فسيثمر خيراً كثيراً، وإن أخفق في واحدة منهما باءت دعوته بالخسران المبين.

❁ ❁ ❁ ❁

(١)(سورة الصف٢:٣)

(٢) (سورة هود:٨٨)

(٣) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م (١٢/١١٨، ١١٩).

(٤)(سورة البقرة:٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث
المناهج الدعوية القرآنية في دعوة الملأ

تتعدد المناهج الدعوية القرآنية في التعامل مع الملأ، فمن الملأ من يصلح معه الحجاج العقلي، وثمة نوع آخر من الملأ لا يؤمن إلا بالمحسوسات، ومنهم من يؤثر فيه المنهج العاطفي، وهناك نوع يستخدم فيه المنهج التاريخي.

وعليه، يمكن دراسة المناهج الدعوية القرآنية في التعامل مع الملأ على النحو التالي:

المطلب الأول: المنهج العقلاني

المطلب الثاني: المنهج الحسي

المطلب الثالث: المنهج العاطفي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: المنهج العقلاني

ويقصد بالمنهج العقلاني استخدام الحجاج العقلية التي تقطع دابر الخصوم وجدالهم بالباطل، فإن الملأ قد اختطوا اللدد في الخصومة والعناد والإصرار على الباطل؛ ولذا يثيرون الشبهات التي تؤثر على دعوة الداعية؛ فكان لزاماً على داعية الملأ أن يجابه ذلك باستخدام البينات العقلية التي تبطل كيد الملأ.

ويكثر في القرآن الكريم الاستدلال العقلي على صدق دعوة الداعية، والردود العقلية التي تفحم الخصوم، وترد عليهم باب الجدال، ومن أبرز ذلك ما جاء في القصص القرآني للأنبياء والمرسلين، كما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجَّه في ربه، وبيان ذلك على النحو التالي:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[1]

أي: ألم يصلك خبر هذا الذي بلغ عناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا {أن آتاه الله الملك} فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله.

فكيف كان الحجاج العقلي؟

فقال إبراهيم: {ربي الذي يحيي ويميت} أي: هو المتفرد بأفعال الربوبية، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة.

فقال: {أنا أحيي وأميت} ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت؛ لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه.

فهذا الذي يخلط الحق بالباطل ويدلس على الناس، كيف تكون الحجة العقلية القاطعة معه؟

---

(١)(سورة البقرة:٢٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاطرد معه في الدليل الذي أتى به زعماً، فقال إبراهيم: {فإن الله يأتي بالشمس من المشرق} أي: عيانا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر {فأت بها من المغرب}

وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه.

فماذا يقول ؟ أو بماذا يرد ؟

وإنما{بهت الذي كفر} أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال(١).

ويتضح مما تقدم؛ كيف كان رد داعية الملأ سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكيف لم يدخل معه في جدال عقيم، بشأن ما أورده من دليل، وإنما أقرعه بحجة قاطعة حسمت مادة النزاع؛ فبهت الذي كفر.

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثاني: المنهج الحسي

إذا كان هناك طائفة من الملأ لا يقرعهم إلا الحجة العقلية، فإن هناك فئات أخرى تؤمن بالمحسوسات؛ حيث لا يخاطب الداعية هنا العقل، ولا يأتي بالمقدمات والتي ترتب نتائج حتى يقطع الخصم بصحة دعواه، وإنما بأمور تدركها الحواس الخمسة، ويراها الخصم بأم عينه؛ فلا يكون هناك حجة له بعد ذلك، فإذا أبي فليس إلا نوع جحود واستكبار(٢).

ومن أبرز ما أورده القرآن الكريم في ذلك قصص سيدنا موسى عليه السلام مع الملأ من قومه، قال تعالى: ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾**﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾**﴾(٤)

(١) بتصرف من تفسير السعدي، مرجع سابق (ص ١١١).
(٢) ينظر: الدعوة الإسلامية، لغلوش، مرجع سابق (ص٦٩٢ وما بعدها).
(٣)(سورة النمل:١٢).
(٤) (سورة الأعراف:١٣٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي: فأرسلنا عليهم هذه الآيات الحسية المفصلة المناسبة لطبيعتهم، فما كان منهم إلا الصلف والاستكبار.

وعن سعيد بن جبير قال: لما أتى موسى عليه السلام فرعون قال له: أرسل معي بني إسرائيل، فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر، فصب عليهم منه شيئا خافوا أن يكون عذابا، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرآئيل، فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فأنبت لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الزروع والثمار والكلأ، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلأ، فلما رأوا أثره في الكلأ عرفوا أنه لا يبقي الزرع، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرآئيل، فدعا ربه فكشف عنهم الجراد، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فداسوا وأحرزوا في البيوت فقالوا قد أحرزنا، فأرسل الله عليهم القمل وهو (السوس) الذي يخرج منه، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا ثلاثة أقفزة، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرآئيل، فبينما هو جالس عند فرعون إذ سمع نقيق ضفدع، فقال لفرعون: ما تلقى أنت وقومك من هذا؟ فقال: وما عسى أن يكون كيد هذا؟ فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع، ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرآئيل، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا،وأرسل الله عليهم الدم فكانوا ما استقوا من الأنهار والآبار وما كان في أوعيتهم وجدوه دما عبيطا، فشكوا إلى فرعون فقالوا: إنا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب، فقال: إنه قد سحركم، فقالوا: من أين سحرنا ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا وجدناه دما عبيطا؟ فأتوه وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرآئيل، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل[1].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثالث: المنهج العاطفي

ويراد بالمنهج العاطفي استدرار داعية الملأ العاطفة، وما يثير تلك العاطفة ويستجلبها نحو الحق ودعوته، ومن وسائل ذلك الترغيب والترهيب، أي ترغيب الملأ

(١) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٣/ ٣٦٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالخير العميم في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وترهيبهم من مخالفة الحق، وعاقبة ذلك الخسران المبين، سواء في الدنيا فضلا عن الآخرة.

ولقد حفل القرآن الكريم بآيات عديدة استخدم فيها الأنبياء والمرسلين سلاح الترغيب والترهيب مع الملأ من أقوامهم، ومن ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[1]

ففي هذه الآيات الكريمات جمع نوح عليه السلام الترغيب والترهيب في سياق واحد، فبدأ بالترغيب وأكثر منه وفصَّله، ثم أتبعه بالترهيب.

قال ابن كثير:" أي: إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها.

هذا مقام الدعوة بالترغيب. ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال: {ما لكم لا ترجون لله وقارا} أي: عظمة. قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقال ابن عباس: لا تعظمون الله حق عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ونقمته[2].

ومن وسائل الترغيب والترهيب تذكير الملأ بما أنعم الله عليهم من النعم السابغة، وأن عليهم أن يشكروا تلك النعم باتباع المنعم، وعدم مخالفته، وقد تتابعت الآيات القرآنية في بيان ذلك، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ۝٤﴾[3]

وها هي الآيات تذكر نعمة الله عزوجل على الملأ من قريش، سواء في نعمة الإطعام بعد أن كانوا فقراء معوذين، ونعمة الأمن بعد استباب الخوف فيهم.

---

(١)(سورة نوح١٠:١٣)

(٢) تفسير ابن كثير، مرجع سابق (٨/٢٣٣).

(٣)(سورة قريش١:٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن ابن عباس،رضي الله عنهما، في قوله: (لإِيلافِ قُرَيْشٍ) قال: نهاهم عن الرحلة، وأمرهم أن يعبدوا ربّ هذا البيت، وكفاهم المؤنة، وكانت رحلتهم في الشتاء والصيف، فلم يكن لهم راحة في شتاء ولا صيف، فأطعمهم بعد ذلك من جوع، وآمنهم من خوف، وألفوا الرحلة، فكانوا إذا شاءوا ارتحلوا، وإذا شاءوا أقاموا، فكان ذلك من نعمة الله عليهم[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري، مرجع سابق (٦٢٢/٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الرابع
أساليب ووسائل القرآن في دعوة الملأ

تتنوع أساليب ووسائل القرآن الكريم في دعوة الملأ، فقد يتم دعوة الملأ من خلال القول، وقد تكون من خلال الكتابة، كما تتطور أساليب الدعوة تبعاً لتطور الزمان والتطور الحضاري للأمم.

وعليه، يمكن بيان أساليب ووسائل القرآن الكريم في دعوة الملأ، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: القول

المطلب الثاني: الكتابة

المطلب الثالث: الوسائل الحديثة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المطلب الأول: القول

يعد القول هو أصل تبليغ الدعوة إلى الله، وهكذا كان تبليغ الرسل الدعوة لأقوامهم، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾**﴾[1]

فهو خطاب من الله عزوجل لنبيه عليه الصلاة والسلام بدعوة الناس بالقول، وبيان الحق من الضلال وعاقبة كل منهما.

وحتى تتحقق الغاية المرجوة من الدعوة بالقول، فلابد أن يكون القول بلسان قومه؛ وحتى يفهمه قومه وتتضح لهم الآيات والبراهين على صدق دعوته، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾**﴾[2]

أي: لا يجوز إرسال رسول أعجمي لأمة عربية، كما لا يجوز إرسال رسول عربي لأمة أعجمية؛ {فَيُضِلُّ اللَّهُ} من يشاء إضلاله؛ بعد أن يزجي له الآيات البينات، ويضرب له الأمثال والعظات، ويسوق له المعجزات والدلالات[3].

ويجب أن يكون القول بالبلاغ المبين الجلي الواضح، قال تعالى: ﴿ **وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾**﴾[4]

يقول: وليس على محمد ﷺ إلا أن يبلِّغكم عن الله رسالته، ويؤدي إليكم ما أَمَره ربُّه بالبلاغ الذي يُبِين لمن سمعه ما يراد به، ويفهم به ما يعني به[5].

---

(١) (سورة يونس:١٠٨) .
(٢) (سورة إبراهيم:٤).
(٣) تفسير الطبري(٢٠/٢٠).
(٤) (سورة العنكبوت:١٨).
(٥) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤م (١/٣٠٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويجب أن يكون سمت القول اللين وعدم الشدة، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1]

قال السعدي: أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، {لَعَلَّهُ} بسبب القول اللين {يَتَذَكَّرُ} ما ينفعه فيأتيه، {أَوْ يَخْشَى} ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفى على المتأمل فإنه أتى بـ " هل " الدالة على العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلى التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ولم يقل " أزكيك " بل قال " تزكى " أنت بنفسك ثم دعاه إلى سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر[2].

-ويتنوع أسلوب القول بين الخطبة والمحاضرة والدرس، ولكل مجاله:

فالخطبة تكون عادة لجمع من الناس قد لا يعرفهم الداعي أو يعرف بعضهم فقط، وتكون لمعنى أو معانٍ معينة يريد بيانها ولفت الأنظار إليها، ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة في أحوال الناس، مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، مع الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية لها من قِبَلِ الرسول الكريم والرسل الكرام -صلوات الله وسلامه عليهم، والصحابة الكرام، والقصص الواردة في الكتاب والسنة، وأن يبدأ خطبته بما يجلب انتباه السامعين من حادثة صادفها أو قصة قرأها، أو خاطر انقدح في نفسه، فإذا ما جلب انتباه السامعين

(١) (سورة طه:٤٤).
(٢) تفسير السعدي، مرجع سابق (ص٥٠٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مضى الخطيب في كلامه مترسلًا مشوقًا ومنذرًا، وأن يتفرَّس في نفوس الحاضرين، وأيّ مرض يغلب عليهم، وأيّ شيء يحتاجونه أكثر من غيره، فيبدأ به ويربطه بالعقيدة الإسلامية، فإذا كانوا بحاجة إلى التخويف والترهيب لما يلمسه فيهم من الجرأة على المخالفات الشرعية ذَكَرَ لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وخوفهم من طول الأمل،

ويستحسن أن تكون الخطبة ارتجالًا لا في ورقة مكتوبة، وأن تكون معانيها حاضرة في ذهنه

-أما الدرس فالغالب أن يكون شرحًا لآية من القرآن، أو لحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم، او بيانًا لمسألة أو مسائل من الفقه، وقد يحضره عدد قليل من الناس، ويشترط للداعي في درسه أن يحضِّر مادته مسبَّقًا تحضيرًا جيدًا، وأن لا يستطرد كثيرًا وهو يلقي موضوعه؛ لأنَّ الاستطراد يبعد السامع عن أصل الموضوع، ويبعث في نفسه السآمة

- أما المحاضرة: فالغالب أنَّها تعالج موضوعًا معينًا باستقصاءٍ وإحاطةٍ وذكر الأدلة والبراهين، و، والمحاضرة الناجحة ما كانت تهدف إلى هدف معيّن ومحدَّد، ويجب على المحاضر أن يكون دقيقًا في كلامه، لا يلقي القول جزافًا، ولا يكثر من العبارات العاطفية؛ لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة .

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثاني: الكتابة

تعد الكتابة من وسائل تبليغ دعوة الملأ، بالإضافة إلى القول، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في معرض حديثه عن قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس؛ إذ لما ذكر الهدهد ماوجده من حال القوم وخدشهم لمقام التوحيد بعبادتهم للشمس، وذكر ذلك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لسليمان، فقرر سليمان عليه السلام دعوتهم، ولم يجد وسيلة في ذلك أصلح إلا الكتابة، قال تعالى: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ۝٢٨ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١﴾[1]

أي: إن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها، يدعوها فيه إلى الإيمان والإسلام لله عز وجل، وأعطاه ذلك الهدهد، وأمره أن يلقيه إليهم، ثم يبتعد عنهم قريبا، ويتأمل رد الفعل، وما يراجع بعضهم بعضا القول، ويناقش فيه[2].

❁ ❁ ❁ ❁

المطلب الثالث: الوسائل الحديثة

أظهر التطور التقني المعاصر عدة وسائل حديثة، ينبغي على الداعية استثمارها أيما استثمار كوسائل التواصل الاجتماعي: كالفيس بوك والتليجرام ونحوها، فضلا عن البريد الالكتروني، والبرامج المتعددة كسكايبي وماسنجر ونحوها، ناهيك عن اليوتيوب ونحوه.

– وتمتاز هذه الوسائل الحديثة بأنها قرَّبت العالم حتى أصبح وكأنه في غرفة واحدة، لا قرية واحدة.

–وعلى الدعاة أن يقوم بواجبهم الدعوي عبر هذه الوسائل، فقد انتشر الإسلام ووصل إلى ما وصل إليه بالوسائل التقليدية، فحريّ بكل داعية أن يستغل هذه الوسائل لعمل فتوحات جدية للإسلام، سواء بسواء كما حدث في الفتوحات الأولى.

❁ ❁ ❁ ❁

(١) (سورة النمل٢٨: ٣١).

(٢) التفسير المنير للزحيلي، مرجع سابق (٢٨٦/١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

النتـــائـــج

بعد دراسة بحث فقه منهج القرآن الكريم في دعوة الملأ خَلُصَ الباحث إلى عدة نتائج، من أهمها ما يلي:

- أن المقصود بمنهج القرآن الكريم في دعوة الملأ: العلم اللازم للقيام بدعوة أشراف الناس وساداتهم، وما ينبغي الحرص عليه في دعوتهم.
- تتعدد سمات الملأ في القرآن الكريم، كسمت الاستكبار والحرص على الزعامة والرياسة، والترف، وتقليد الأمم السابقة في الباطل، ومعاداة الحق والتأليب عليه وعلى دعاته، والإصرار والعناد على الباطل.
- تتعدد سمات الملأ في القرآن الكريم، كسمت الاستكبار والحرص على الزعامة والرياسة، والترف، وتقليد الأمم السابقة في الباطل، ومعاداة الحق والتأليب عليه وعلى دعاته، والإصرار والعناد على الباطل.
- يعد سمت الاستكبار من أخص صفات الملأ، وقد نعت الله عزوجل الملأ بصفة الاستكبار في غير موضعٍ من كتابه الكريم.
- أن من آثار صفة الاستكبار في الملأ من قوم شعيب عليه السلام العتو والصلف كما حدث مع تهديد نبي الله شعيب عليه السلام بالإخراج من وطنه أو الاستسلام للباطل.
- أنه قد بلغت الغطرسة والاستكبار منتهاها لدى الملأ من خلال ظنهم أنه لا أحد أقوى منهم، كفعل الملأ من قوم عاد مع نبي الله هود عليه السلام.
- أن استكبار الملأ يعد مظهرًا بارزًا في الرد على دعوات الأنبياء، وتكذيبهم والكفر بما يدعون به.
- أن من مظاهر الاستكبار كذلك لدى الملأ الاستفراغ في التعنت مع الرسل في طلبهم حتى يؤمنوا حتى طلبوا نزول الملائكة أو رؤية الرب جلَّ في علاه.
- أن من مظاهر استكبار الملأ احتقار المؤمنين وازدرائهم لضعفهم وقلة نفوذهم وسلطانهم، كما جاء على لسان الملأ من قوم نوح عليه السلام.
- أن هذا الاحتقار للمؤمنين والضعفاء منهم هو فعل الملأ في كل زمان ومكان، وهكذا فعل الملأ من قوم قريش؛ حيث طلبوا طرد المستضعفين من المؤمنين حتى يؤمنوا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- أن العلو والاستكبار لم يقتصر على المستضعفين من المؤمنين، بل حتى مع النبي المرسل ذاته، فهم لا يريدون اتباع الحق، ولو كان من أي أحد، بل يريدون العلو في الأرض وفقط، ولو أدى بهم إلى الكفر.
- أن استكبار الملأ صفة لازمة ومتقررة فيهم، وهي التي سببت كفرهم، وأنها ستؤدي إلى هلاكهم وعذابهم في الآخرة.
- أن الحرص على الزعامة والرياسة هو السمة الثانية للملأ ملازمة لهم، ولصيقة بهم، وهي حرصهم على مكانتهم ووزعامتهم بين الناس، ولو أودت بهم إلى الكفر بالله عزوجل، والخلود في نار الجحيم.
-أن من مظاهر الحرص على الزعامة، بل من مكرهم وخبثهم أنهم يرمون الأنبياء بدائهم، وأنهم برسالتهم يريدون أن يتفضلوا على أقوامهم، كما قال الزعماء والملأ من قوم نوح عليه السلام.
- أن من نتيجة الحرص على السؤدد والزعامة بأي ثمن هو مجلبة لهلاكهم؛ إذ وصل بهم الأمر أن طعنوا في النبي المرسل، وبالأحرى في رسالته.
- أن الطعن في النبي ورسالته هو دأب الملأ في كل عصر ومصر، وهذا هو -عينه- ما فعله الملأ من قوم قريش مع النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ إذ استنكفوا أن ينزل القرآن على النبي عليه الصلاة والسلام متمنين أن لو كان نزوله على شريف من أشرافهم.
- ان الصفة الثالثة للملأ هي الترف، وأن آيات كثيرة من القرآن الكريم بيّنت هذه الصفة للملأ، وأنهم ينهمكون في الشهوات واللذات، وأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فكانوا مترفين منعمين.
- أن صفة الترف لدى الملأ هي صفة أصيلة ومتأصلة فيهم في كل زمان ومكان، وقد ضرب الله عزوجل المثل بقارون؛ حتى يعلم أن هذا الصنف يتكرر عبر الدهور والأزمان.
-أن دأب المترفين دائما وأبدا هو إعلان الكفر بالأنبياء والمرسلين.
- أن السمة الرابعة من سمات الملأ هي تقليد الأمم السابقة في الباطل، وتعد هذه سمة لصيقة بأولئك الصنف من المدعوين، بل هو دأب الملأ المترفين في اتباع الباطل والإعراض عن الحق، فهذا ما كان أسلافهم عليه، وقد وردت آيات كثيرة تدل على هذا المعنى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- أن احتجاج الملأ بتقليدهم لآبائهم الضالين، ليس المقصود به اتباع الحق والهدى، وإنما هو تعصب محض، يراد به نصرة ما معهم من الباطل، وأن ذلك من تزيين الشيطان لهم، وأنه سيفضي بهم إلى عذاب السعير.
- أنه إذا كان الملأ يتصفون بالعلو والاستكبار، ويحرصون-أيما حرص- على منزلتهم ورياستهم؛ وهم مترفون منهمكون في اللذات والشهوات؛ فكان لابد من النتيجة الحتمية معاداة الحق بكل سبيل، والتحريض عليه وعلى دعاته بشتى أنواع السبل.
- أن معاداة الحق تقتضي الصبر والتصبر على الباطل، فكان الملأ يوصون بعضهم بعضًا بالصبر والجلد على ذلك الباطل.
- أن السبب الرئيس لمعاداة الملأ للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ليس إلا كراهية الحق.
- أن الإصرار والعناد على الباطل خصيصة أخرى للملأ تأتي مكملة لسابقتها، وهي معاداة الحق وأهله والتأليب عليه؛ إذ لا بد حينئذ من الاستمرار على الباطل رغم قوة جلاء الحق، وبيان دلائله، ولكنه العلو والاستكبار، ولقد تجلى ذلك في آيات عدة في القرآن الكريم.
- أنه لا مراء في أن الملأ يعلمون علم اليقين صدق الرسل وصحة دعوتهم، ولكنه التكذيب والجحود بآيات الله تعالى.
- ليس كل داعية يستطيع أن يدعو الملأ، بل لابد من توافر صفات وسمات محددة تناولها القرآن الكريم.
-تتنوع هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها داعية الملأ ما بين صفات ذاتية، وصفات خُلُقية، وصفات مكتسبة.
-لابد من توافر سمات ذاتية في الداعية الذي يتعامل مع الملأ حتى يحقق الثمرة المرجوة من دعوته.
-تعد صفتا الشجاعة والعزة من أهم الصفات الذاتية التي يجب أن يتمتع بها الداعية الذي يدعو الملأ، وتعد من الصفات القيادية التي يجب أن تتوافر في الداعية أساساً، وفي داعية الملأ على وجه الخصوص.
- صفتا الشجاعة والعزة تكسب المهابة للداعية-ليس فقط من قبل عموم المدعوين، بل حتى الملأ أنفسهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-إن من لديه صفتا العزة والشجاعة تتمكنان منه وتظلان صفتان لصيقتان بالداعية، لا تفارقاه أبدا حتى لو كان السيف على رقبته.

-مصدر هذه الشجاعة والعزة- بالإضافة إلى أنهما صفتان ذاتيتان للداعية- هو إن الإيمان يحقق للمؤمن اليقين والثقة بالله التي تكسبه بالتالي ثقة في نفسه، فلا يخشى شيئًا في هذه الحياة، فهو يعلم أن الأمر كله لله عز وجل.

-تمس الحاجة أن يتصف داعية الملأ بالذكاء وسعة الأفق؛ حتى يستطيع أن يرد لجاج ومكر الملأ.

-وتأتي سرعة البديهة متممة للصفات السابقة التي يجب تحلي دعاة الملأ بها، وذلك إزاء جانب المحاورات مع الملأ، وما قد يظهر في بعضها من محاولة تعجيز الدعاة إلى الله تعالى، وإظهارهم بمظهر العاجزين عن الرد وفقر بضاعتهم؛ مما يؤثر على الدعوة ذاتها.

-تتعدد الصفات الخُلُقية التي يجب أن تتوافر في داعية الملأ.

-يعد الإخلاص شريان الحياة للدعوة والداعية، فهو المداد الذي يتحرك به الداعية ابتغاء مرضاة الله عزوجل وحده، لا سواه، وهو وقود الدعوة الذي يفتح به الله سبحانه وتعالى على الداعية.

-يجب على داعية الملأ أن تتوافر فيه صفة الصدق قولاً وعملاً، جناناً وسلوكاً؛ فإذا ما استقام على ذلك ترقى في مدارج الكمال حتى وصل لدرجة الصديقية، فيكون دخول داعية الملأ في أي عمل، وتكون حياته بالله ولله، فغايته هي الله وحده.

- لا، ولن يصمد أمام الملأ إلا داعية الصدق.

-لا بد للداعي إلى الله من التحلي بالصبر؛ لأنه سيؤذى في دعوته لا محالة، فكل الرسل قد عودوا.

-ورغم صنوف الأذى والمتاعب التي سيلاقيها الداعي إلى الله؛ فيجب أن يكون حريصاً على هداية من يدعوه.

-ومن الحرص على هداية الملأ الرحمة بهم وإرادة الخير لهم والنصح لهم؛ لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار وفوزهم برضوان الله تعالى، ولا ينفر من صدودهم، ويعيد الكَرَّة معهم، ويتحمَّل أذاهم ويدعو لهم بالهداية.

-ومن مظاهر الحرص على هداية الملا ألا يجازي الداعية على إساءته إليه،بل يحتمل صدور الأذى منهم، ويعفو يصفح، ويبتعد عن خشونة الطبع وغلظة القلب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-تعد من آكد السمات التي يجب أن يتصف بها داعية الملأ الحكمة، والحكمة هي: وضع الأمور في نصابها، والوصول إلى الأهداف المطلوبة بأيسر الطرق وأحسنها.

- هناك ثمة سمات مكتسبة يجب على داعية الملأ أن تتوافر فيه، وجماع هذه السمات العلم، والعمل.

- يعد العلم هو سلاح الداعية الأول مع الملأ، ومن لا علم له لا دعوة ترجى من وراءه، فالعلم هو الركن الركين للدعوة، وهو أساس الدعوة ولحمتها.

-والعلم هو العلم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

-يجب على الداعية إلى الله أن يكون عاملاً بما يدعو الناس إليه، وخاصة داعية الملأ، فإذا دعا غيره إلى خير كان أسبق الناس إليه، وإذا نهاهم عن شر كان أبعد الناس منه.

- يعد العلم والعمل من الصفات المكتسبة للداعية، فيستطيع الداعية أن يكتسب العلم بالتعلم، وأن يعمل بما يدعو إليه حتى تكون له مصداقية عند الملأ.

-إذا استقام داعية الملأ على العلم قبل أن يدعو، والعمل بما علم؛ فسيثمر خيراً كثيراً، وإن أخفق في واحدة منهما باءت دعوته بالخسران المبين.

- تتعدد المناهج الدعوية القرآنية في التعامل مع الملأ، فمن الملأ من يصلح معه الحجاج العقلي، وثمة نوع آخر من الملأ لا يؤمن إلا بالمحسوسات، ومنهم من يؤثر فيه المنهج العاطفي.

- ويقصد بالمنهج العقلاني استخدام الحجاج العقلية التي تقطع دابر الخصوم وجدالهم بالباطل.

-يكثر في القرآن الكريم الاستدلال العقلي على صدق دعوة الداعية، والردود العقلية التي تفحم الخصوم، وترد عليهم باب الجدال، ومن أبرز ذلك ما جاء في القصص القرآني للأنبياء والمرسلين، كما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجَّه في ربه.

-هناك فئات أخرى تؤمن بالمحسوسات؛ حيث لا يخاطب الداعية هنا العقل، ولا يأتي بالمقدمات والتي ترتب نتائج حتى يقطع الخصم بصحة دعواه، وإنما بأمور تدركها الحواس الخمسة، ويراها الخصم بأم عينه؛ فلا يكون هناك حجة له بعد ذلك، فإذا أبي فليس إلا نوع جحود واستكبار، ومن أبرز ما أورده القرآن الكريم في ذلك قصص سيدنا موسى عليه السلام مع الملأ من قومه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-المنهج العاطفي أحد مناهج التعامل مع الملأ، ويقصد به استدرار داعية الملأ العاطفة، وما يثير تلك العاطفة ويستجلبها نحو الحق ودعوته، ومن وسائل ذلك الترغيب والترهيب، أي ترغيب الملأ بالخير العميم في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، وترهيبهم من مخالفة الحق، وعاقبة ذلك الخسران المبين، سواء في الدنيا فضلا عن الآخرة، ولقد حفل القرآن الكريم بآيات عديدة استخدم فيها الأنبياء والمرسلين سلاح الترغيب والترهيب مع الملأ من أقوامهم.

- تتنوع أساليب ووسائل القرآن الكريم في دعوة الملأ، فقد يتم دعوة الملأ من خلال القول، وقد تكون من خلال الكتابة، كما تتطور أساليب الدعوة تبعاً لتطور الزمان والتطور الحضاري للأمم.

- يعد القول هو أصل تبليغ الدعوة إلى الله، وهكذا كان تبليغ الرسل الدعوة لأقوامهم.

- وحتى تتحقق الغاية المرجوة من الدعوة بالقول، فلابد أن يكون القول بلسان قومه؛ وحتى يفهمه قومه وتتضح لهم الآيات والبراهين على صدق دعوته.

- ويجب أن يكون القول بالبلاغ المبين الجلي الواضح.

- ويتنوع أسلوب القول بين الخطبة والمحاضرة والدرس، ولكل مجاله.

- تعد الكتابة من وسائل تبليغ دعوة الملأ، بالإضافة إلى القول، وقد ذكر القرآن الكريم ذلك في معرض حديثه عن قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس.

- أظهر التطور التقني المعاصر عدة وسائل حديثة، ينبغي على الداعية استثمارها أيما استثمار كوسائل التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والتليجرام ونحوها.

❁ ❁ ❁ ❁

التوصيات

بعد دراسة فقه دعوة الملأ من خلال القرآن الكريم، يوصي الباحث بما يلي:

- ضرورة الاعتناء بدارسته لكل داعية، وأن يدرس كمادة في معاهد الدعوة وأن يعمم تدريسه عبر وسائل الدعوة المختلفة؛ حتى يعالج كثيرا من أخطاء الواقع المعاصر.

- ضرورة استثمار وسائل الدعوة الحديثة في فقه الدعوة عامة، وفي فقه دعوة الملأ بصفة خاصة.

❁ ❁ ❁ ❁

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصادر والمراجع

١- ابن اسحاق، سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر — بيروت، الطبعة: الأولى ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م .

٢- ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ.

٣- ابن حنبل، المسند لعبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ- ٢٠٠١م

٤- ابن فارس معجم المقاييس في اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط١٩٩٤،١،دار الفكر، بيروت.

٥- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦- ابن ماجه، سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، ط. الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٧- ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، الناشر: دار صادر — بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ (١٤/٢٥٧ وما بعدها)،

٨- أبو زهرة، زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.

٩- الأزهري، تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، ت: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١م .

١٠- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ
١١- بركات، الدعوة ووسائلها،، د. عبدالله حسن بركات، الجامعة الدولية لدول أمريكا اللاتينية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٢- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٣- الترمذي، جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، ت: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.
١٤- الحاكم ، المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط. الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م .
١٥- الدارمي برقم (١٤٦٨) مسند الدارمي عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت – حسين سليم الداراني الناشر: دار ابن حزم الرياض ط الثانية١٤٣١هـ .
١٦- دراز كتاب النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، دار طيبة للنشر الطبعة الأولى، ١٩٩٧ .
١٧- الذهبي، سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م
١٨- الرازي: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي الناشر: بيروت مكتبة لبنان، ١٩٩٥.
١٩- الرزرقاني، مناهل العرفان، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ .
٢٠- رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م .
٢١- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، الناشر: دار الهداية.

٢٢- الزحيلي ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.

٢٣- زيدان أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٢٤- السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٢٥- الشوكاني، فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١- ١٤١٤هـ.

٢٦- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٧- عبدالخالق ، أصول الدعوة إلى الله، عبد الرحمن عبد الخالق، طبعة منشورة على صفحة الشيخ بدون بيانات، .

٢٨- علوش، الدعوة الإسلامية: أصولها، وسائلها، أساليبها في القرآن الكريم، الدكتور/ أحمد أحمد غلوش، الناشر: مؤسسة الرسالة - القاهرة، الطبعة: ٢٠٠٥م.

٢٩- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ .

٣٠- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب [ت ٨١٧هـ]، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١- القاسمي، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣٢- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٣٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار المعارف، ط٣ (١/٢٨٦،٢٨٧).
٣٤- المقدسي المناظرة في القرآن، عبدالله المقدسي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩، تحقيق الجديع .
٣٥- النسائي، السنن الكبرى (٦ / ٢٤)، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ط. الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.
٣٦- النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٣٧- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط. الثانية، ١٣٩٢م.
٣٨- الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم ، الدار الشامية – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

❁ ❁ ❁ ❁